Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاضر والماضي وتراجع المستقبل يتقلب سؤال الهوية وسؤال الثقافة في فصل جديد من تراجيديا الكتابة الفلسطينية.

تراجيديا العائد:

في وصف لحظة وصول العائد تتراءى الكتابة بين استقبال المقيمين (محمود شقير أو مريد البرغوثي) وبين لا مبالاتهم ووحدة العائد الموحشة (فاروق وادي).

ومهما تكن تلك اللحظة فهي ستفتح تراجيدية العائد فوراً على غربة جديدة، فالغربة كما يكتب البرغوثي لا تكون واحدة: إنها دائماً غربات.

لا تدع الغربة الجديدة ذلك العائد يلتقط أنفاسه، إذ تجبهه بواقع آخر. فلحظة الوصول يرى محمود شقير الروح المعنوية للناس جيدة، لكنه يرى الإحباطات أيضاً، ويسمع تذمراً وشكوى، وفي العيون يقرأ الحزن والقلق. أما زكريا محمد فسرعان ما سينسى عبور الجسر، لأنه سرعان ما سيتعود على عودته ويصير قديماً جداً. ولقد جاءت عودة العائد في نهاية المشهد- الانتفاضة، فإذا بالكل يكره الكل، وبذرة الشك التي زرعها العدو تؤتي ثمرها، فالكل يشك في الكل. والعائد لا يعرف حدود حريته، فالوضع مضطرب ومشوش، والفوضى تعم كل شيء، ودهشة الأيام الأولى تتقلب إلى الشعور بالحصار، فتستعيد ذاكرة العائد من المنفى زمن الحرب الأهلية في بيروت. وتمضي كتابة زكريا محمد بهذه القتامة من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير المتكلم الجماعة (المقيمة والعائدة)، لكأن الكمين الذي أخفق عام 1982 في لبنان قد أفلح الآن، ولا حل بحد أدنى من المهانة، لذلك يسيطر المزاج السوداوي، ويشعر الناس أنهم سجناء، وأنهم قد وقعوا في الكمين. أما حسن خضر الذي تستقبله المقبرة في غزة، فيرميه شارع عمر المختار في حضن شاب ملتح ذي جلباب قصير وعمامة بيضاء يشتم المارين بسبب فسوقهم وفجورهم، كأنه أحد أنبياء العهد القديم، بينا بنات المدارس الابتدائية يلفعهن الحجاب- المناديل البيضاء، وبنات الجامعة والمدارس الثانوية يسترقن النظر إلى العالم من خلف النقاب، وهن جميعاً، كما لا يفوت الكتابة أن تستذكر، من كانت أمهاتهن يذهبن إلى المدارس بلا حجاب ولا نقاب.

ولا يفوت الكتابة الجوع إلى الشهداء الذي غدا سيد الشهوات، فالمنظمات تتسابق إلى نعي شهيد. وليس ذلك ولا سواه مما تعاين الكتابة سوى ما خلّف المشهد- الانتفاضة من إعلاء الذات المعصومة والمطلقة والمعلقة في مكان ناءٍ،